عند اعلان قيام اسرائيل والتي توالت بعده، لم تكن غير متأثرة بالتناقض القومي بين مطامع الحركة الصهيونية وسياساتها وبين المصالح القومية العربية. واذا كانت الحكومات العربية قد سلمت عملياً بوجود اسرائيل، من خلال الصمت عن هذا الوجود والقعود عن العمل الجدي لالغائه، فإن تأثير هذا التناقض انعكس في حرص الحكومات العربية على التمسك باستقلال بلدانها هي امام التهديدات الاسرائيلية المتلاحقة، بصرف النظر عن نجاحها في ذلك او فشلها. وصار للرفض العربي المعبر عنه باللاءات الثلاث: لا اعتراف ولا صلح ولا مفاوضات. وظيفة هامة اخرى تتصل بالاوضاع الداخلية لكل بلد عربي، واكتسبت هذه الوظيفة اهمية متزايدة بمضي الوقت؛ اذ انه مع تنامي المعارضات الداخلية في كل بلد عربي لسياسات الانظمة والطبقات الحاكمة، صارت المزايدة بشأن فلسطين من قبل هذه الانظمة والطبقات وسيلة لصرف الاهتمام عن الاوضاع الداخلية، ولتضليل الرأي العام وللتغطية على اجراءات القمع التي تلجأ اليها الحكومات كلما اشتدت انشطة المعارضة. وبمقدار ما كانت هذه الانشطة تشتد. ومن اجل الغرض ذاته، ظلت تنطلق الدعوات «العرمرمية» للحرب ولتحرير فلسطين وحتى لاعادة اليهود الى البحر الذي جاءوا منه، وذلك لتغطية علاقات التبعية المتنامية للدول الغربية والمزايا التي تمنحها الحكومات العربية لها لتسهل نهبها للثروات الوطنية وتعزيز نفوذها في الدول العربية.

واعطى شعار الدفاع عن استقلال البلاد العربية، الذي برز منذ تثبيت وجود اسرائيل، واقتران وجودها بالتغييب الكامل لاسم فلسطين ولمطالب شعبها ولحريته الوطنية المستقلة ولأي مظهر من مظاهر الاستقلال الفلسطيني، اعطى للصراع العربي – الاسرائيلي منحى آخر جديداً اظهره وكأنه نزاع على الحدود بين دول الشرق الاوسط المتعادية والمتنابذة . فغابت قضية فلسطين واستولت نزاعات الحدود، سواء بين الدول العربية واسرائيل او بين الدول العربية فيما بينها، على مركز الاهتمام. وبدا وكأن النوعين من النزاع من طبيعة واحدة. بل ان السنوات التي شهدت تثبيت وجود الدولة الصهيونية شهدت في الوقت نفسه احد اشكال التمحور والتنابذ والعداء بين دول الجامعة العربية، وساهمت النزاعات الاقليمية ومشاريع الوحدة، التي طرحها الاردن او العراق وعبرت عن مطامعهما في الهيمنة على سوريا بالذات، في دفع حدة هذا التنابذ الى الذروة وفي تقسيم الدول العربية الى محاور متعادية على اساس مواقفها من هذه المشاريع ومن خلفياتها. واحتلت هذه النزاعات مركز الصدارة من الاهتمام، وادت الى تخفيف او حتى في بعض الاحيان، الى طي الاهتمام بالموضوع الاصلي وهو الصراع العربي الاسرائيلي. وأسهمت بدورها في دفع الشعارات المتشددة في رفض اسرئيل الى الذورة، وجعلت كل طرف عربي يوجه الاتهامات للطرف الآخر بأن مسلكه يخدم اسرائيل.

في جوهر هذا كله، يكمن شيء ليس من الصعب البرهنة على صحته بالرغم من ان الوثائق المتاحة، والعلنية منها على وجه الخصوص لا تسعف في تقديم البراهين. هذا الشيء يتمثل في ان وجود اسرائيل صارت له وظيفة ذات اهمية بالغة في خدمة هيمنة الحكومات والقوى العربية الرجعية على السلطة في بلدانها. ولا شك في ان